

المثقف وصراع الأيديولوجيات في رواية "الغربان" لحسين الواد

لعلاونة محمد الأمين - جامعة مولود معمري - تيزي وزو

mamilalaouna@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2020/06/01	2020/03/26	2020/01/11

مُلخَصُ البَحْثِ

جاء مقالنا لبحث عن دور المثقف فيما يسمى بثورات الربيع العربي، حيث سَنعَرِّجُ على أنواعٍ مختلفةٍ من المثقفين في رواية "الغربان"، حتى نصل إلى "المثقف الصامت" كما صورته الروائي "حسين الواد"؛ باعتباره مثقفاً محايداً يعيش على هامش المجتمع نتيجة ضربات عدّة أخلت بدوره المعهود في المجتمعات التي تعرف ثورات اجتماعية أو سياسية، يكون المثقف فيها هو المرشد والمبلور للفكر الجماهيري، وهذا ما غاب عن المثقف العربي/ التونسي؛ الذي اكتفى بمراقبة الصراع الإيديولوجي داخل المجتمع دون أن يبدي أي رأي، وهذا ما حاول "الواد" أن يعالجه في روايته "الغربان".

الكلمات المفتاحية: المثقف؛ الإيديولوجيا، الثورة، الصراع الإيديولوجي.

Abstract

Our article came to search for the role of the intellectual in the so-called Arab Spring revolutions, where we will conduct a survey of the types of intellectuals in the novel Crows until we reach the "silent intellectual" as depicted by "Hussein Al-Wad" in the novel, as a neutral intellectual who lives on the margins of society as a result of several strikes that disrupted the usual In societies where social or political revolutions are known, the educated person is the guiding and crystallizing of the mass thought, and this is what was absent from the Arab-Tunisian intellectual who was content with observing the ideological struggle inside society without expressing any opinion, and this is what the "father" tried to address in his novel "Crows." "

Key words: Intellectual, Ideology, Revolution, Ideological Struggle.

مقدمة:

الأيديولوجيا كما يعرفها "عبد الله العروبي" هي تخيير الأشياء وتأويل الوقائع بكيفية تظهرها دائما مطابقة لما يعتقد انه الحق ، وقد تكون مجموع الأفكار والأوهام/ المزيفة التي تتحكم في المجتمع حسب "كارل ماركس Karl Marx" الذي يعتبرها وعياً زائفاً، وهي عند "حسين الواد" مزوجة بين هذا وذاك؛ إذ تتصادم الأيديولوجيات في رواية "الغربان" وتتصارح لتشكّل مجموعة من الروائع/ العدسات في إطار ثنائيات أنساقية-نسق "شرق/ غرب" ونسق "قبل/ بعد الثورة" - ، وهذا ما بلوره "الواد" داخل فضاءات مكانية، اختار لها أن تكون بلوريتارية/ بسيطة بامتياز- الحلاق/ السوق...-، توحى في مجملها بروح المثقف البسيط/ العضوي، داخل سياق تلتقي فيه إيديولوجيات/ روايح متباينة، تتداخل حيناً وتتنافر في أحيان أخرى، ليشكل "الواد" نسقاً سردياً ينظر من خلاله نظرة ارتيابٍ وهو يبحث عن الأدلوجة - حسب عبد الله العروبي- الثابتة، التي تتشكّل في وعي المثقف -الأنموذج- وهو يصارع أيديولوجيات متحولة، أثرت فيها مجموعة من التغيرات المجتمعية والوقائع الاستعجالية المتمثلة في نسق الثورة، فتشكّلت نتيجةً لهذه الوقائع والتغيرات ثقافة هجينة صنعت بدورها مثقفاً مُستلباً/ متأزماً يعيش في دوامة من الآراء والاتجاهات. فما هي الرؤية الأيديولوجية -المثالية- التي يريدها "حسين الواد" في روايته "الغربان"؟ وما هي سمات المثقف الأنموذج الذي يستطيع مجابهة اللا-وعي الجمعي/ المخاتل داخل نسق ثابت لم يلبث أن أصبح متحولاً ؟ ، وما هي إكراهات الواقع التي يمكن أن توجه قناعات المثقف؟

1- إضاءة حول رواية "الغربان" لحسين الواد:

تدور أحداث رواية "الغربان" في "دوار الجرة"، حيث يختار بطل الرواية "سي حميدة" التنقل بين عدة أماكن أرادها "حسين الواد" أن تكون بسيطة "دكان الحلاق"، "مكتب المهندس المعماري"، "دكان تصليح العجلات"، "المكتبة" وكأن السارد بذلك أراد أن يعبر عن عضوية البطل الروائي "سي حميدة" حين انتقاله داخل أماكن بلوريتارية/ بسيطة بامتياز. "سي حميدة" بطل الرواية العائد من الغربية، والذي اختار أن يستقر في "دوار الجرة" بعد رحلة اختيارية إلى فرنسا، حيث تشبّع هناك بالثقافة الفرنسية التي اكتسبها جراء اختلاطه بامرأة

فرنسية قاسمته الحياة ووهبته فتاةً كان اسمها "كلارا" إلا أنها غيرته إلى "أم إسلام" و التحقت في نهاية الرواية بالحركات الجهادية بعدما كانت تعيش نمط حياةٍ الغربي. (ينظر: الغربان، ص 230-231).

يقرر سي حميدة العودة إلى مدينته الأصلية "دوار الجرة" والزواج من فتاة تونسية-يمينية- من بنات الدوار، يكبرها بعدة سنوات (يقارن الواد بين الفتاة العربية والمرأة الفرنسية فيربط الأولى بالدونية، والثانية بالفتح والحرية وسعة الثقافة) (ينظر الرواية ، ص 174)

يحاول البطل الروائي "سي حميدة" أن يبقى صامتا من الأحداث الدائرة في "دوار الجرة" جراء الثورة التي أسقطت نظام "العهد الجديد" الذي كان مسيطرا على المشهد السياسي في المدينة. ليلتحق بعض الأفراد-الشخصيات- "الحلاق" بموجة الأيديولوجيا الجديدة التي غزت المدينة، والتي تمثلت في "الإسلام السياسي" أو ما أطلق عليه الواد "حزب الملحين" الذي جاء نتيجة استلامهم- الملحين- على السلطة، ومحاولتهم العودة إلى نظام الخلافة، أو تطبيق تعاليم الدين الإسلامي، والحكم بما أنزل الله كصورة للأصولية التي عرفتها بلدان الربيع العربي (ينظر: الرواية ص 151).

ينتقل بطل رواية الغربان بين "دكان الحلاق" ومكتب "المهندس المعماري" و"تاجر العجلات المطاطية"؛ "دكان الجزائر"؛ "الجامع القديم"؛ "السوق الدخلاني". لينقل لنا تلك التحولات التي عرفها "دوار الجرة"، فنجد صامتا في مواضع، ومتكلما عن آراء أيديولوجية بصورة ساخرة في مواضع أخرى (ينظر: الرواية، ص 46-47)، وكأن رفضه بطل الرواية- للواقع الثقافي والاجتماعي جعله حبيس تباينات أيديولوجية لم يجد فيها مكانه نتيجة خروجه من أيديولوجيا اشتراكية متمثلة في فكرة التعاضد (الرواية، ص 84)، وعيشه لتحولات عهدين مختلفين " عهد الاستقلال والسيادة" و"العهد الجديد" الذي أسقطته ثورة شعبية جراء تردي الأوضاع واستبداد السلطة بسكان "دوار الجرة". (الرواية، ص 60-61).

تتشعب الصراعات وتظهر عديد الأحزاب السياسية التي كان "سي حميدة" مكتفياً بمشاهدة أنصارها، أو سماع أهزيجها عند "الحلاق" ومكتب "المهندس المعماري" و"مصلح العجلات"؛ مما جعله يكتفي فقط بوصف التغيرات الأيديولوجية وركوب بعض الأحزاب -الأصولية خاصة- لموجة الحراك الشعبي "شخصية الحلاق، وستالين، وكاديرالذين تحولوا إلى الأصولية الإسلامية

"(ينظر: الرواية ص30،142) وسيطرتها على زمام السلطة. ما جعل الواد يستعين بشخصيات أخرى مثلت دور "الثورة المضادة" التي جعل لها "السُّلوج" و "الأستاذ النبیه" بالإضافة إلى "سويلم الحواف" أوجهًا لها.

تقوم ثورة شعبية على نظام " أصحاب اللحى" الصاعد باعتباره نظامًا رجعيًا مستبدًا يؤمن بالخرافة على حساب الوعي الإيديولوجي والسياسي (ينظر: الرواية ص367)، ليتأجج الصراع داخل الرواية وتحدث مجموعة من الاغتيالات السياسية في المدينة " اغتيال الزعيم" ثم "السسلوج"(ينظر: رواية الغربان ص358) الذي كان تلميذا عند "المؤرخ الحزين" الذي تظهر شخصيته في نهاية الرواية وهو ينتقد الأوضاع / الأيديولوجيات التي سيطرت على المدينة "الأصولية" و" العلمانية " معا؛ باعتبار الأولى تحكيما للسماء على الأرض – تحول الإسلام السياسي إلى حركات إرهابية- والثانية تحكيما للأرض على السماء؛ حيث يختار " المؤرخ الحزين" أيديولوجيا وسطية لا تلغ إحداهما الأخرى، والتي تجسدت في كلمة " الحرية" (ينظر: الرواية ص391).

يتحدث " حسين الواد" عن سيطرة الملتحين على الواقع الاجتماعي، ومحاولتهم فرض آرائهم على جميع أطراف المجتمع؛ خاصة النساء، ما أدى لتفشي ظاهرة الانتحار بين نسوة سكان الجرة وظهور حركة "الفيمينيزم/Féminisme" التي مثلتها شخصية " عائشة" (ينظر: الرواية ص219) ورددهم على محاولات المجتمع الجديد الأصولي تقييد المرأة وربطها بالدونية (عورة، سافرة، فتنة (...))، كما يشير الواد إلى ظهور ما يسمى بـ"جهاد النكاح" الذي رافق الثورات العربية(ص317). ليتحدث بعدها عن ظاهرة التجوال السياسي الذي بلورته شخصية "ستالين" الذي تحول من الشيوعية إلى الأصولية المتشددة(ينظر: الرواية ص131).

يشير السارد كذلك إلى ظاهرة العولمة وكيف استطاعت مواقع التواصل الاجتماعي أن تضع مصير "دوار الجرة" على المحك؛ نتيجة "كثرة الأخبار" وتباينها، ما جعل الإعلام القديم يزوي فاتحا المجال أمام وسائل الميديا الحديثة، ليشير الواد إلى دور "الفايس بوك face book" و"تويتر twitter" في صناعة أيديولوجيا الرأي العام؛ بل وتغليظها (ينظر: الرواية ص379-299-239).

تنتهي رواية الغربان باغتيال كل الوجوه التي تمثل المثقف، وجنون سي حميدة وانتهائه داخل "مصحة عقلية" جراء حمله السلاح وتصويبه على محلات "الميديا" و"المراكز التجارية" وأماكن

تجمع الملتحين في رمزية من السارد تشير إلى رفض البطل لكل الأيديولوجيات الدخيلة على "دوار الجرة" (ينظر: الرواية، ص 390) والتي رأى أنها تمثيل لمشروع عالمي (ينظر: الرواية، ص 392). II-
الرائحة كتمثل أيديولوجي:

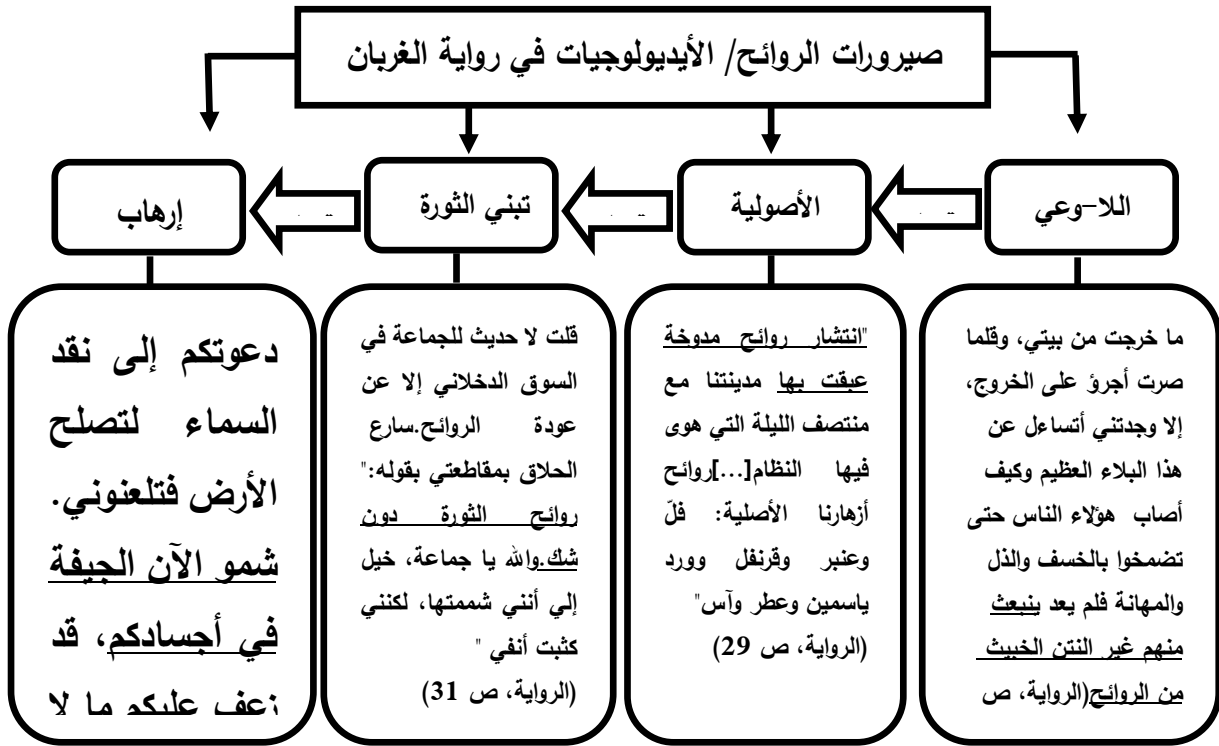
يأتي نص "الغربان" لحسين الواد، كمحاولة لتفكيك مجموعة من الإيديولوجيات/ الروائح الدخيلة على مدينة/دوار الجرة، أراد السارد أن تكون رمزية، وكأنها تعبر عن كل المدن التي عاشت "ثورات الربيع العربي" بتحولاته الإيديولوجية، التي أثرت في جميع أطراف المجتمع إلا البطل الروائي "سي حميدة" الذي أثر الصمت/ الحياد-المؤقت-والتنقل بين عديد الأماكن التي كان ينصت لأصحابها حيناً، ويشتم الروائح/ الأيديولوجيات التي غزت المدينة في أحيان أخرى، يقول البطل الروائي: "لم أفطن إلى أنني، بعد وقفات كثيرة في مدخل السوق المركزية الشمالي، قد تسمرت أمام واجهة مكتبة تعرض ألواناً من السلع لا علاقة لمعظمها بالكتب وسائر اللوازم المدرسية [...] انتفضت كالمذعور ودخلت، تبينت بقايا روائح أبخرة شرقية كانت مدينتنا قد نبذتها منذ سنوات بعيدة"¹، ليتأرجح البطل بين حاسة الرؤية/ اللون والشم/ الأبخرة، بيد أنه يرجح الكفة لحاسة الشم، باعتبارها الحاسة الوحيدة التي لا يمكن أن تتأثر نسبياً بالخداع/ الوهم الذي يصيب بقية الحواس .

كما أنها الحاسة التي من خلالها يمكن أن ندرك فردانيتنا / أيديولوجيتنا، ف"من بين سائر الحواس، تلوح حاسة الشم الأفضل تجاوباً مع وظيفتها كحاسة، فهي الحاسة التي تمكننا من التمييز بين ما هو ذاتي/شخصي، وما هو غيري"²، وهذا ما جعل "الواد" يوظف الروائح/ الأبخرة الشرقية كتيمة لإيديولوجيا منبوذة/ دخيلة تحيل إلى أدلجة الإسلام/ الإسلام السياسي؛ فالبخور هو إشارة إلى الروائح/ الدين حين تعلقه بالأيديولوجيا/ الشرقية وهو الفاصل الذي يحدد الانتماء الأيديولوجي، في عصر عرف بتصادم الأيديولوجيات وتنوعها نتيجة أطروحات عديدة لعل أبرزها حالة "ما بعد الحداثة"، و"نهاية التاريخ" التي "بمجرد إعلانها سرعان ما طفت على السطح قوى أيديولوجية جديدة. فبينما قد تكون الديمقراطية الليبرالية قد حققت تقدماً مؤثراً خلال القرن العشرين إلا أنه مع اقتراب نهاية القرن ظهرت دلائل مؤكدة على بعث أيديولوجيات مختلفة تماماً، خصوصاً الإسلام السياسي"³ الذي سيطر على دوار الجرة وجعل البطل الروائي "

سي حميدة" يعيش نوعا من " التيه الأيديولوجي " نتيجة متغيرات طرأت على الأفكار والأشخاص، يقول البطل الروائي "تأملته فانتبهت إلى أنه يضع نظارات لطيفة ويرسل لحية قصيرة جلها بياض. لم أعرف أيسارية هي أم متدينة"⁴ وهذا ما يؤكد فعل الانبعاث الأيديولوجي الذي بموجبه استترت أيديولوجيا " كادير " بين التيار العلماني / اليساري، والتيار الديني / الأصولي، بيد أن الرائحة كانت هي الفاصل في تعرية الانتماء الإيديولوجي لهذه الشخصية يقول سي حميدة " انتهت إلى أنني عندما عانقته مودعا شممت عليه رائحة ما، رائحة كتلك التي تتضوع من بعض اللحي [...]. لاحظت زوجتي شرودي فقالت «فيلسوف النجاسة هذا كان لك...» رميتها بنظرة فسكتت. قلت بنبرة هادئة: لم أعد أعرف أيننا الطاهر وأيننا النجس"⁵، فسي حميدة من خلال هذه المقطوعة السردية أو من خلال تحركه في الرواية يأتي دائما في وضعية المثقف الصامت الذي عبر عنه ميفستوفيليس « Méphistophélès » في « فاوست Faust » لغوته « goethe » بقوله: "إن المثقف هو أحد هؤلاء الذين يربأون بأنفسهم لعب دور المستأثر حتى العمق في خضم اللعبة الاجتماعية الكبرى"⁶ وهذا ما عبر عنه سي حميدة بقوله: " راجعت سيرتي منذ حصل في بلادنا ما حصل، فصلا فصلا. لم أجد فيها ما يبرر أن أستخدم فأنا إلى المتفرجين أقرب"⁷.

يؤكد "حسين الواد" من خلال استعانته بالعطور الشرقية عودة المدينة/ الوطن إلى الارتقاء في الإيديولوجيا الشرقية/ الخلافة، وتلك الرغبة الجامحة لبعض ساكنتها في العودة إلى حلم دولة العدل والشورى، في حركية جاءت مواكبة لفسيفساء الروائح/ العطور التي " تحتوي على جميع مستويات الحياة بشكل واقع ومحرك إيجابي وسلي. وهو لذلك -العطر/ الرائحة- يتفق مع ذواتنا الباطنة العميقة، وبصورة حلوة وغامضة يحولنا لعبيد مطيعين لمذهب سحري قديم قدم الزمن"⁸، مذهب رأى فيه بطل الرواية كل العنجهية والاستبداد باسم تعاليم الدين/الأصولية ونبذ كل التيارات المعادية ف" في الدكاكين التي يتردد عليها بعض الملتحين وفي كثير من المواقع الاجتماعية، تواتر التشهير بتعطيل الأحزاب العلمانية ومنظمات المجتمع المدني وقادة اتحاد العمال والشيوخيين وجميع الذين يغيظهم أن يحكم الإسلاميون أعمال الحكومة"⁹، إن "الثيوقراطيين" في رواية الغربان هم أولئك الأفراد المؤدلجين بإيديولوجية أصولية تلغي الآخر؛ باعتباره لا يحتكم إلى القانون الإلهي؛ بل إلى قانون وضعي دنيوي، في نوع من "الدوغمائية le

"dogmatisme"؛ حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه "أن الإسلام لا ينشغل فقط بخلاص الإنسان وإنما ينشغل أيضا بحياته الدنيوية وتنظيمها اقتصاديا وسياسيا وثقافيا"¹⁰ وهذا ما تبدي في عديد المقاطع السرديّة التي ارتأينا ربطها بالرائحة وتوضيحها بالخطاطة التالية:



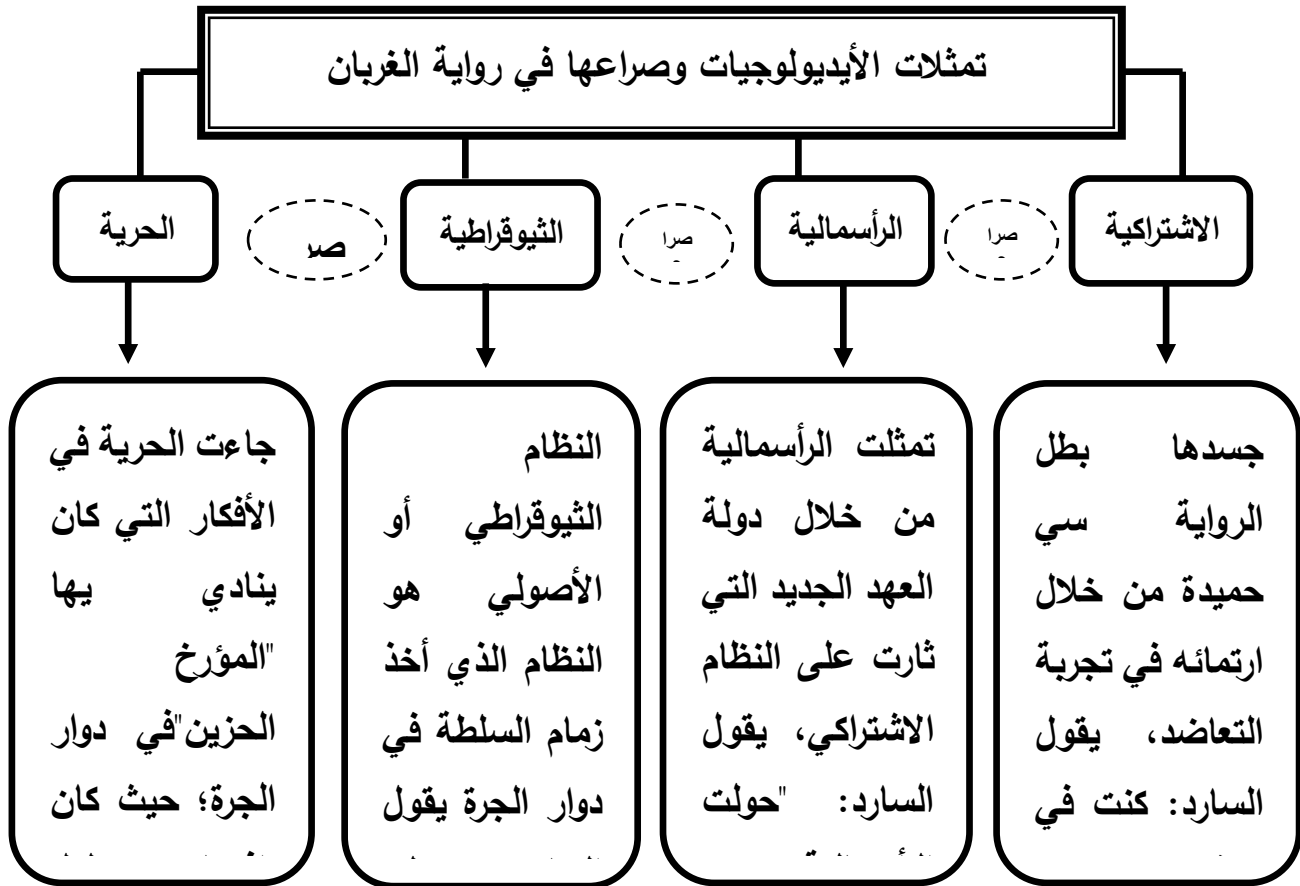
III- زحام الأيديولوجيات وانشطارها:

تتزامن الأيديولوجيات في رواية "الغربان" وتتغير بتغير الشخصيات والأماكن، ف"الواد" لم يستقر على أيديولوجية معينة إلا ووصفها عن طريق الإيحاءات/ المضمرات، وهذا ما عكسته شخصية بطل الرواية "سي حميدة"؛ الذي جاء في صورة تجسد أزمة المثقف الذي يراقب صيرورات المجتمع وانتقاله من حالة إلى حالة أخرى، أو ما يمكن أن نطلق عليه بـ "الأيديولوجية المنبعثة"، وكأنه -سي حميدة- يعيش حالة من التأمل الحذر لمأل الشخصيات وتحولات انتمائهم، عن طريق شخصيات/ شخصيات تنبعث هي الأخرى لترافق التحولات السياسية والاجتماعية للمدينة/ الوطن حيناً، وتتصارع فيما بينها في أحيان أخرى، فالبطل الروائي هو ذلك المثقف الصامت/ المتأزم/ اللا-ملتزم¹¹ الذي وجد نفسه في "ثقافة عربية باتت ساحة مفتوحة لحرب أهلية فكرية طاحنة بين تيارات تسربلت بكل أنواع العتاد الأيديولوجي على نحو أهدرت فيه قيم الحوار والتسامح

والإصغاء والنسبية في التفكير والاعتقاد، وأحل منزع التسلط واحتكار الرأي والتشهير والمطلقية الإيمانية والتخوين والتكفير بدلا منها¹² وهذا الحاصل في "دوار الجرة" الذي يعد نسقا مغلقا؛ يحوي مجموعة من "الأيديولوجيات المنشطرة/ المتكوثرة" التي نجت من هيمنة أيديولوجيا السلطة، واتخذت لنفسها مكانة في المجتمع عن طريق المراوغة والتستروء الأيديولوجية الضديدة للسلطة/ الظلم، يقول السارد: " الملتحون يا ابن عمتي، ما أبرعهم في فنون التنويم. رددوا على الناس كلاما من قبيل: لا نية لنا البتة، في ضرب المكاسب التي تحققت لهذا الشعب. لا تراجع في الحريات مهما كانت، أكثروا لهم من ذكر الأذى الذي لحقهم طوال عهدي الاستقلال والسيادة و العهد الجديد"¹³ غير أن استحوذهم على السلطة في " دوار الجرة" جعلهم في حالة من الوعي الزائف الذي دفعهم إلى اختيار حاسم وملح؛ اختياراً بين إسلام صوري أمريكي يغطي بجلبابه الطبقية الشنيعة، وبين عدالة اشتراكية ماركسية روسية تعادي الإسلام¹⁴، وخيار ثالث يمكن أن نطلق عليه تبعا لأحداث دوار الجرة اسم " الثيو-دكتاتورية" التي تصارعت مع إيديولوجيا الواقع، وكرست الطبقة الاشتراكية والاستبداد الامبريالي باسم تعاليم الدين، يقول السارد " لم أفطن للتحول الكبير الذي دخل مدينتنا إلا عندما نبهني إليه صديق كنت عرفته بباريس[...]. جعل يستنكر غياب الدولة، كيف تسمح للبضائع المغشوشة بغزو جميع الفضاءات [...] كيف تغض الطرف عن تداول العملات الأجنبية على قارعة الطريق وبيع الممنوعات جهارا"¹⁵، فالدولة الغائبة التي أشار إليها صديق السارد هي تجسيد للحضور في صورة أخرى ملتبسة تقترب من مفهوم السلطة عند " بالانديه **balandier** " حيث عدها سلطة تقوم على المحافظة واللا-تساوق والقداسة واللبس¹⁶ وهذا ما جرى لسلطة دوار الجرة، تقول زوجة سي حميدة منتقدة الوضع السائد: " أي نقابة وأي شؤون اجتماعية وأي اشتكاء؟ أين تظن نفسك؟ طردني ليشغل واحدة منقبة. طرد المسؤول على المخزن وانتدب سجيننا سابقا عظيم اللحية. هل فهمت؟"¹⁷ .

تجسد المقطوعة السردية الواردة كل خصائص السلطة التي ذكرها "بالانديه **balandier** " وأكد عليها "ميشل فوكو Michel Foucault" في حديثه عن السلطة الحاكمة، ومحاولتها إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية لغرض توليد الهيمنات والتبعيات، لذلك نجد أن أيديولوجيا سلطة "دوار الجرة" قد أثرت في المجتمع ككل كما أثرت فيه الإيديولوجيات السابقة، ليبقى المجتمع يؤرخ

لانتكاساته، و سيطرة طبقة مؤدلجة بإيديولوجيا معينة تنشطر/ تتناسل/ تتكوثر لتصنع أدلوجات منضوية تحتمها أو متصارعة معها وهذا ما حاول "حسين الواد" أن يبينه في رواية "الغربان" عن طريق توظيفه رموزا عديدة وشخصيات كانت هي الأخرى بمثابة "تيمات" تتصارع/ تتأدلج بعضها بعض، وهذا ما نبينه كالتالي:



IV- المثقف الصامت/ المتأزم وصناعة الوعي:

يمثل بطل الرواية "سي حميدة" دور المثقف الصامت/ المتأزم الذي تبلورت شخصيته من خلال تجارب أيديولوجية/ مؤقتة عاشها في "دوار الجرة"، بدءا بتجربة " عهد الاستقلال والسيادة" ثم " دولة العهد الجديد"، فنظام سياسي ومجتمعي ألغى دور المثقفين وجعلهم يعيشون على هامش الأحداث والوقائع، يقول سي حميدة: "منذ استقر قراري على أن أعود إلى مدينتنا، بعد العشرية الأولى من مقدم العهد الجديد، عازما على أن أقضي فيها ما تبقى لي من عمر، قررت، ألا أمد يدي مرة أخرى إلى عجين الشأن العام"¹⁸، ليترك "حسين الواد" القارئ أمام نص مختال وشخصية/ شخوص مرتابة من الأحداث الدائرة حولها؛ حيث تكتفي شخصية " سي

حميدة" بوصف الأحداث والوقائع دون تقديم الحلول أو التدخل لتغيير واقع دوار الجرة/ الوطن. وكان " الواد" بذلك يصنفه-سي حميدة- مع "المثقفين الخائنين" الذين تحدث عندهم " جوليان بينداJulien Benda" واعتبرهم " مثقفين يتخلون عن رسالتهم ويفرطون في مبادئهم"¹⁹ وهذا ما وقع مع سي حميدة الذي اكتفى في أكثر من مقطوعة سردية بالصمت ومشاهدة/ وصف واقع "دوار الجرة" يقول السارد: " أعلمني سويلم الحواف، بعد بضعة أيام، أننا نسهر في بيت توفيق. لم يزد على قوله: توفيق يصر على أن تحضر استغربت عندما وصلنا إلى بيت عتيق ورثه توفيق عن والده أن أجد بين الحاضرين أحمد ناجي وعبد القادر ناشي وهما من أقحاح الشيوعية الكلاسيكية وحليمة بوعبسة وهي من حقوق الإنسان وعبودة بن سالم وهو من اليسار المتطرف وصالح الأعور من حزب الزعيم وتاجر الإطارات المطاطية ومفتاح بن رجب وهو قومي نصري [...]. سألت عما إذا كان اجتماعا فقال توفيق: مجرد لقاء لتبادل وجهات النظر. قررت أن أكتفي بالسمع"²⁰.

يتضح من خلال الانتماءات الثقافية/ الأيديولوجية للشخصيات التي أوردتها "الواد" في المقطوعة السردية السابقة، ذلك الزخم الأيديولوجي والتنوع الفكري داخل "دوار الجرة/ المدينة"، كما يبين تعدد المشارب الفكرية لمثقفين ينتمون إلى تيارات مختلفة، ويحاولون تقديم آراء تخدم أيديولوجيتهم/ مصالحهم، غير أن "سي حميدة" ارتأت أن يصمت مكتفيا بالسمع فقط، ليسجد من خلال فعل السماع/ الصمت المضمرة التي أراد "الواد" إيصالها إلى المتلقي؛ ففعل السماع هنا لم يأت ليبيّن "تعالى" المثقف/ سي حميدة، بقدر ما جاء ليسمح بإزالة اللبس عن " المثقف الحقيقي/ الأنموذج"، أو ليجيب -الواد- عن التساؤل الذي يراود الجميع في بحثهم عن تعريف للمثقف، الذي جاء في رواية الغربان معاكسا لمقولة "ماركسMarx" حين رأى أن "المثقفين انشغلوا بتغيير العالم بدلا من فهمه"²¹ وهذا ما حاول البطل الروائي تبنيه في الرواية، أخذا بنصيحة "المؤرخ الحزين". يقول السارد: " حصلت على شغل ثابت بشركة المترو وأصبح لي سكن في سطح إحدى العمارات. شعرتُ برضاء عن النفس لم يكدره سوى عجزى عن العمل بنصيحة المؤرخ الحزين عندما استشرته في استقبال وجه الخلاء. لم أجد وقتا للمطالعة"²² ففعل المطالعة هو الذي يمكن البطل الروائي من فهم الواقع قبل إصلاحه.

تتبدى في رواية "الغربان" صورة أخرى للمثقف، تقترب في ماهيتها من نظرة الفيلسوف الإيطالي أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci "ل"المثقف العضوي"، والذي جسده شخصية "السُّلوج" في الرواية؛ باعتبارها شخصية ثائرة تحمل مشروعاً ثقافياً وفكرياً ضديداً لمشروع السلطة، وهذا ما يظهر جلياً في الاسم الذي اختاره لها الواد فالسُّلوج هو تمثيل لعالم الاجتماع الذي ينبغي له " أن يكون الأداة التي يكتشف الفاعل بفضلها معنى عمله ويُنتج على هذا النحو ضروباً من السلوك يمكن لعالم الاجتماع أن يحللها"²³ وهذا ما يبعد شخصية السُّلوج بشكل يسير عن مفهوم "المثقف العضوي" الذي "يعتبر أن كل مجموعة اجتماعية يمكن لها أن تنتج بشكل عضوي فئة أو أكثر من المثقفين. ويتولى أولئك المثقفون العضويون مهمة إكساب المجموعة الاجتماعية تجانسها ووعياً لوظائفها"²⁴ كما يعد منضوياً في السلطة من أجل تحقيق مشروع الثقافة، وهذا ما لم يحصله "السُّلوج" الذي كان يريد بناء نسق جديد يساير نسق الثورة ويثور على نظام رأى أنه استبد بدوار الجرة يقول السارد: "لبس السُّلوج جنون الحركة [...] صادفته قريباً من دوار الجرة فأقبل علي مستبشراً وقال: أخيراً أذعن التاريخ. أرسل إشارة الاستجابة. القوة التي لا يضبطها نسق تسرح في التلاشي، ساورتني الظنون، متى أراك؟ قال: قريباً جداً. إن لم نبين نسقنا ندمنا إلى الأبد"²⁵.

يجسد "السُّلوج" في الرواية دور عالم الاجتماع، كما يصور شخصية المثقف العضوي/الروحي/الملتزم الذي يعيش وسط مجتمع لم يدرك أن "مهمات المثقفين تتطور مع الزمن بفعل التحولات في البنى الاجتماعية وأنه بمقدار ما يزداد حجم المجتمع وتعمم المهمات التي تواجهه حكامه تزايد الحاجة إلى المثقفين والمؤسسات الثقافية"²⁶، ليُغتال "السُّلوج" في نهاية الرواية ويُغتال معه المشروع الثقافي الذي آمن به وحاول تطبيقه في دوار الجرة/ الوطن.

تنتهي رواية "الغربان" ل"حسين الواد" بدخول بطل الرواية "سي حميدة" إلى مصحة عقلية، نتيجة الضغوطات التي عاشها في "دوار الجرة/ المدينة/ الوطن" واكتفائه بتتبع الإيديولوجيات المنبعثة، ومسيرة الحركات النخبوية التي رأى أنها قد تجسد مشروع "المؤرخ الحزين"، الساعي إلى إرساء أيديولوجية وسطية يشكلها مجموعة من المثقفين الواعين بالواقع لا المثقفين المصقولين بوعي زائف حسب "كارل ماركس K.marx"، ولتبيان أنواع المثقفين نورد الشكل الآتي:

صورة المثقف في رواية الغربان

المثقف المزيف، وهو المثقف التي ينتقل من إيديولوجيا إلى أخرى دون وعي منه خدمة لمصلحته أو خدمة لوعي زائف/ مؤقت وهذا ما جسده في

المثقف الواعي الذي فهم الواقع بيد أن فهمه اصطدم بأيدولوجيا السلطة وعدم استيعاب المجتمع للأفكار التي يحملها، وهذا النوع من المثقفين مثلته في رواية الغربان شخصية " المؤرخ الحزين" وشخصية "السلوج" و"الأستاذ النبیه" و"الزعيم" الذين اقتربت رؤيتهم للمثقف من رؤية غرامشي للمثقف العضوي بيد أن الاختلاف تمحور حول دورهم متحكمه في السلطة.

المثقف الصامت / المتأزم الذي وجد نفسه أمام تغيرات/ أزمت أيدولوجية ومجتمعية لم يجد لها بدائل كما لم يتأقلم معها نتيجة غياب الاستشراف ومحاولته فهم الواقع قبل إيجاد الحلول له، وهذا ما جسده شخصية "سي حميدة في رواية الغربان"

خاتمة:

كانت دراستنا لرواية "الغربان" للكاتب التونسي الراحل "حسين الواد"، بمثابة استنطاق لمجموعة أيديولوجيات عاشتها مدينة أراها السارد أن تكون رمزية، تعبر عن كل المدن التي عاشت ثورات الربيع العربي، كما عاشت قبله أيديولوجيات مختلفة تزاومت لتشكّل أزمة أرقّت المثقف العربي، وجعلته يعيش حالة من التيه/ الضبابية نتيجة سرعة التحولات الأيدولوجية التي تمر بها المجتمعات العربية وانتقالها من أيديولوجية إلى أخرى ضديدة لها.

جاء "دوار الجرة" في رواية الغربان، ليعبر بشكل مصغر/ رمزي عن المجتمعات العربية التي غرفت من الثقافة الغربية/ الماركسية/ الرأسمالية، دون أن تجد الحلول لمشكلاتها المجتمعية والفكرية، مما جعل مثقفها يعيشون نوعا من التأزم و"اللا-ثبات" في توجهاتهم الفكرية والأيدولوجية/ مما جعلهم في حالة من الصراع والصدام مع الواقع المهيم ومع ذواتهم نتيجة فشلهم في إيجاد المشروع الثقافي المناسب لمجتمعاتهم دون المساس بالركائز "الهوية" التي تقوم عليها تلك المجتمعات.

يعد المثقف كما تتبعناه في رواية الغربان، تلك الشخصية " القلقة/ المرتابة/ المتأزمة " التي تحمل مجموع أفكار/ أدلوجات، لم تستطع تطبيقها في المجتمع نتيجة غياب الوعي الطبقي عند الطبقة التي ينتمي إليها - البرويتاريا "Prolétariat" كما تمثلها حسين الواد -، كما أن السلطة لعبت دورا كبيرا في ذلك التأزم؛ عن طريق التضيق على المثقفين؛ وقتل مشاريعهم الثقافية بمشاريع ضديدة، تصنع الارتياب وتضع المثقف أمام متاهة ثقافية كبرى، تجعله يستكين إلى الصمت/ الانعزال، وهذا ما حصل في دوار الجرة/ المدينة/ الوطن مع " سي حميدة" و "السسلوج" وقبلهما شخصية "المؤرخ الحزين".

إِحَالَاتُ البَحْثِ

- 1- حسين الواد، الغربان (روائع المدينة) دارالجنوب، ط1، تونس، 2018، ص 41.
- 2- بيت فرون، الرائحة أبجدية الإغواء الغامضة، تر:صديق محمد جوهر، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، أبو ظبي، 2010 ص 334.
- 3- أندرو هود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، تر: محمد صفار، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012، ص 407
- 4- حسين الواد، الغربان ، ص 29
- 5-المصدر نفسه، ص356
- 6-جيرار ليكلرك، سوسيولوجيا المثقفين، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2008، ص23.
- 7-حسين الواد، الغربان ، ص 339.
- 8-أحمد توفيق حجازي، موسوعة العطور والعناية بالجمال، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1 الأردن، 2000، ص 70.
- 9- حسين الواد، الغربان ، ص 220.
- 10-مراد وهبة، الأصولية والعلمانية ، دار الثقافة، ط1، القاهرة، 1995، ص 83.
- 11- المثقف الملتزم عند "هلبرت مركيز Herbert Marcuse" هو الذي يوزع الحقيقة على البشري يبصروا ما يجب التخلي عنه وما يجب الأخذ به.
- 12-عبد الإله بلقزيز، نهاية الداعية -الممكن والممتنع في أدوار المثقفين-، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، 2010، ص 114
- 13-حسين الواد، الغربان، ص 135.
- 14-ينظر: عبد السلام ياسين، الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية، ص9، <https://siraj.net/downloads/>، الساعة 16:08 يوم 16 مارس 2019.
- 15- حسين الواد، الغربان، ص 245.
- 16-المعرفة والسلطة، ميشل فوكو، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1994، ص 47.

- 17- حسين الواد، الغريبان ، ص 167
- 18- المصدر نفسه، ص 52.
- 19- ادوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص 36.
- 20- حسين الواد، الغريبان ، ص 190.
- 21- علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 2004، ص 155.
- 22- حسين الواد، الغريبان ، ص 90.
- 23- آلان تورين، من أجل علم الاجتماع، تر: تيسير شيخ الأرض، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، دط، 1979، ص 19.
- 24- ندوة القاهرة 1990 ، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، دار كنفان للدراسات والنشر، ط1، دمشق، 1991، ص 219.
- 25- حسين الواد، رواية الغريبان، ص 337.
- 26- حلیم بركات، غربة الكاتب العربي، دار الساقى ، دط، بيروت، 2011، ص 195.

مراجِع البَحْث

- ادوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006.
- أندرو هود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، تر: محمد صفار، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2012.
- حلیم بركات، غربة الكاتب العربي، دار الساقى ، دط، بيروت، 2011.
- علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 2004.
- أحمد توفيق حجازي، موسوعة العطور والعناية بالجمال، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1 الأردن، 2000.
- المعرفة والسلطة، ميشل فوكو، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1994.
- بيت فرون، الرائحة أبجدية الإغواء الغامضة، تر: صديق محمد جوهر، كلمة للنشر والتوزيع، ط1، أبو ظبي، 2010.

-جيرار ليكلرك، سوسيولوجيا المثقفين، تر: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، 2008.
-حسين الواد، الغربان (روائح المدينة) دار الجنوب، ط1، تونس، 2018 .
-عبد الإله بلقزيز، نهاية الداعية -الممكن والممتنع في أدوار المثقفين-، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب،
2010.

-عبد السلام ياسين، الإسلام وتحدي الماركسية اللينينية.
-مراد وهبة، الأصولية والعلمانية ، دار الثقافة، ط1، القاهرة، 1995.

